المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

المفارقة في الشعر الجاهلي

دراسة في الأنساق الثقافية (شعر الأطلال نموذجا)

Irony in pre-Islamic poetry, a study in cultural patterns (ruins poetry as an example)

بقلم الدكتور

هاني محمد حسين محمد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ـ الكلية الجامعية ـ بتربة
جامعة الطائف ـ المملكة العربيَّة السُّعُودِيَّة

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار سبتمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

المفارقة في الشعر الجاهلي دراسة في الأنساق الثقافية
(شعر الأطلال نموذجا)

هاني محمد حسين محمد

بقسم اللغة العربية ـ الكلية الجامعية ـ بتربة ـ جامعة الطائف ـ المملكة العربيَّة السَّعُودِيَّة

البريد الإلكتروني: drhan39@gmail.com & h.hassann@tu.edu.sa

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع (المفارقة في الشعر الجاهلي دراسة في الأنساق الثقافية . شعر الأطلال نموذجا) ، وتتمثل أهمية الدراسة في محاولة قراءة الأنساق الثقافية في الخطاب / النص الطللي الجاهلي ، والذي يعتمد على المفارقة والأنساق الضدية ، وقد حاولت الدراسة أن تتعامل مع النص الطللي في ضوء سياقه الثقافي الذي أُنتج فيه ، فلا يمكن بحال عزل النص الأدبي والخطاب الشعري عن سياقه البيئي والثقافي . لذا تحاول الدراسة استخراج تلك الأنساق الثقافية الكامنة والمضمرة داخل الخطاب / النص الطللي ، ومن ثم تحاول الدراسة أن تتجاوز أدبية النص الطللي وجمالياته ، إلى ماو راء ذلك لاستكشاف تلك الأنساق الثقافية غير المعلنة في الخطاب / النص الطللي .

وتهدف الدراسة إلىالكشف عن فاعلية أسلوب المفارقة في إبراز فلسفة الشاعر الجاهلي وتأملاته، وما يجول بخاطره تجاه الحياة والوجود، وقد حاولت الدراسة الربط بين مستويات التحليل الجمالي والبلاغي للنص الشعري، وبين مستويات التحليل الثقافي، لتوجيه النقد إلى ضرورة التعامل مع النص الأدبي في ضوء ثقافته التي نشأ فيها، فالتكوين الثقافي يظل مغروسا في ذهن الشاعر وفكره ويبدو في صياغاته وصوره. لذا فقد اعتمدت الدراسة على المنهج الثقافي بما يتميز به من احتوائه ضمنا على مناهج نقدية ثقافية جمالية تاريخية اجتماعية نفسية في آن .

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها : إن الأطلال نسق ثقافي جاهلي يبعث قمة المفارقة بين الماضي والحاضر، القريب البعيد، الاجتماع والافتراق..... ومن ثم فهي ناطقة بمشاعر الشاعر الجاهلي وموقفه تجاه الزمان والمكان والوجود. كما أنه لابد عند تحليل الخطاب الشعري ، من الربط بين مستويات التحليل الجمالي والأدبي ، ومستويات التحليل الثقافي والاجتماعي .

الكلمات المفتاحية: المفارقة، الشعر الجاهلي، الأنساق، الأطلال

Irony in pre-Islamic poetry, a study in cultural patterns (ruins poetry as an example)

Hani Mohammed Hussein Mohammed
Department of Arabic Language, University College, Tarbah, Taif University, Kingdom of Saudi Arabia .
Email: drhan39@gmail.com & h.hassann@tu.edu.sa

Abstract

This study deals with the topic of (paradox in pre-Islamic poetry and its cultural patterns " The ruins poetry as a model ") . The importance of This Study is in how to read the cultural patterns in speech (The pre- Islamic Attlal text) which depends on antipodes and opposites patterns The study tried to deal with The ruins text in The light of its cultural context which was produced in it . We should not separate the literary text and the poetic speech from its cultural context . so The study tries to extract These cultural patterns which live inside the speech (the ruins text) . and Then the study tries to pass over the literary of the ruins text and its beauty .The study aims to reveal the effectiveness of paradox in highlighting . The philosophy of The pre – Islamic poet and his reflections and what is on his mind about life and existence . The study has tried to connect between rhetorical and Aesthetic analysis levels for the poetic text with the cultural analysis levels . The study criticizes The necessity of dealing with the literary text in the light of its culture in which it grew up .The cultural formation remains implanted in the poet s mind and thought and it appears in its formulations and images . Therefore, the study relied on the cultural approach, as it is characterized by implicitly containing critical, cultural, aesthetic, historical, social, and psychological approaches at the same time. The study reached results, the most important of which are: The ruins are a pre-Islamic cultural system that raises the pinnacle of paradox between the past and the present, the near and the far, meeting and separation...and therefore they speak of the feelings of the pre-Islamic poet and his attitude towards time, place and existence. When analyzing poetic discourse, it is necessary to link the levels of aesthetic and literary analysis, and the levels of cultural and social analysis. The pre-Islamic paradox, through the method of contrast and contrast of connotations among pre-Islamic poets, contributed prominently to linking the past and the present at the level of meaning as well as at the level of composition and poetic formulation, in addition to its ability to reveal the poets' feelings, deeper and more distant connotations, and implicit patterns that do not stop at mere contradiction. It is revealed when delving into the interiority of the discourse/text

Keywords: irony, pre-Islamic poetry, patterns, ruins

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتناول هذه الدراسة (المفارقة في الشعر الجاهلي دراسة في الأنساق الثقافية (شعر الأطلال نموذجا) ، وتحاول الدراسة تحليل وقراءة الأنساق الثقافية في الخطاب / النص الطللي الجاهلي والذي يُبنى على المفارقة والأنساق الضدية ، وتتعامل مع النص الطللي في ضوء سياقه الثقافي الذي أُنتج فيه ،ومحاولة قراءة الخطاب الطللي في تعبيره عن ذات الشاعر الجاهلي وخصوصيتها وثقافتها المعبرة عن وعي وثقافة العصر الجاهلي التي كانت لها قوتها وتأثيرها على الخطاب الشعري عامة والطللي خاصة ، فلا يمكن بحال عزل النص الأدبي والخطاب الشعري عن سياقه البيئي والثقافي الذي أنتج فيه ، كما لا يمكن عزله عن سياقاته التاريخية والاجتماعية كما فعلت البنيوية ومن حذا حذوها من المناهج النقدية الداخلية والتي انصب اهتمامها على أدبية النص / الخطاب الشعري وبنيته اللغوية دون الاهتمام بالسياقات التاريخية والاجتماعية والنفسية ، فمهما طغى الأديب أو الشاعر وحاول التفرد والاستقلال فلن ينجو من طغيان البيئة ومحيطها وثقافتها وظروفها ، ولذا فالمكان والبيئة المحيطة جزء مهم من ثقافة الشاعر وفكره ، وتكوينه الثقافي يظل مغروسا في ذهنه وخياله وصياغاته وصوره و أحاسيسه .

ومن ثم فالطلل يمثل بنية ثقافية جاهلية باعتباره أحد مظاهر الشعر الجاهلي والحياة الثقافية الجاهلية بشكل عام ، كما أنه موروث فني جاهلي ونتاج عصور من الشعراء الجاهليين ، فهو من صميم ثقافة الشاعر الجاهلي .

وقد تناولت العديد من الدراسات الحديث عن الشعر الجاهلي وقراءته ثقافيا ولعل من أهمها :

- الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي (نسق القبيلة نموذجا) للباحث / يوسف بوشمة ، جامعة سيدي بلعباس ، الجزائر ، ٢٠١٨م ، ١٤٣٩ .

- الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي (شعراء الحواضر نموذجا) ، للباحثة / بيداء ناصر ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، العراق .

- أنساق من النقد الثقافي في شعر الشنفري : للباحثة / ابتسام أبو شـــرارة ، كلية الآداب ، الجامعة الأردنية .

- ومن الدراسات الثقافية المهمة دراسة د . يوسف عليمات: جماليات التحليل الثقافي (الشعر الجاهلي نموذجا) ، عمان ، الأردن .

وتناولت الحديث عن التحليل الثقافي وأشكال الصراع الإنســاني ، صــراع الإنسان مع الزمان ثم المكان ، وفيما يتعلق بالمفارقة فقد تناولت نماذج عامة مــن الشعر الجاهلي تحققت فيها المفارقة .

وتأتي هذه الدراسة – كما أشرنا – لتحليل النص / الخطاب الطللي الجــاهلي في ضوء الثقافة التي أنتجته ، ومحاولة الكشف عن أنساقه الثقافيــة المضــمرة ، والتي تكشف عن موقف الشاعر الجاهلي ونظرته للزمن والوجود ، وهو ما يفســر لنا حركية الدلالة الناشئة من المفارقة الطللية وازدواجية المشاعر وتناقضها ، والتي يسعى من خلالها الشاعر الجاهلي إلى بعث الذكريات وانجذابه إلى الماضي الــذي يتمنى بقائه واستمراره وتجدده .

- وقد حاولت الدراسة الاعتماد على المنهج الثقافي بما يتميز به ضمنيا مــن احتوائه على مناهج نقدية ثقافية جمالية تاريخية اجتماعية نفسية في آن .

- وتأتي الدراسة من خلال مبحثين أساسيين ، يسبقهما تمهيد حــول مفهــوم المفارقة – النقد الثقافي – النسق .

المبحث الأول : ويأتي بعنوان (أســاليب المفارقــة) ، ويتنــاول أســاليب المفارقة من خلال أسلوب التضاد ، ثم الحوار (الخارجي والداخلي) .

المبحث الثاني : ويأتي بعنوان موضوع المفارقــة (الزمــان والمكــان)، فالطلل هو منبع المفارقة بين الماضي والحاضر والصلة بينهما ، كما يكشف الطلل – دون شك – عن موقف الإنسان وعلاقته بالمكان والزمان .

ثم تأتي أهم نتائج البحث .

تمهيد حول :

مفهوم المفارقة

مفهوم النقد الثقافي

مفهوم النسق

مفهوم المفارقة :

المفارقة لغة : " ترتد إلى الجذر الثلاثي (فرق) ، وفارق الشيء مفارقة وفراقا أي باينه ، وفارق فلان امرأته مفارقة وفراقا أي باينها " (١).

تعتمد المفارقة إذن على التباين والتناقض في إبراز المواقف ، كما أنها تعتمد على ازدواجية الدلالة من خلال الإيحاء بدلالتين متباينتين فهي " تناقض ظاهري لا يلبث أن نتبين حقيقته ، وهي ذات أهمية خاصة بحكم أنها لغة شاعرة ، لا مجرد أنها محسن بديعي " (٢).

ومن ثم فالمفارقة تكنيك لغوي يعتمد عليه المبدع في تقديم دلالة ديناميكية مزدوجة تكشف عن تناقض المواقف ، وتباين المشاعر والأحاسيس من خلال الإشارة والتلميح والإيحاء " مما يوهم المتلقي أنه يواجه موقفا غير متسق ، مما يدعوه إلى إمعان النظر فيه ومحاولة سبر غوره لينكشف له عالم من المفارقة والغرابة ، فالمفارقة إذن تقدم بهذا التناقض الظاهري آلية تعين المبدع على الانفلات من دائرة المباشرة والبساطة والدخول في آفاق من الضبابية الجمالية والشفافية البعيدة " (٣).

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق / أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، مادة (فرق) .

(٢) د/ سعيد علوش : نعجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . عرض وتقديم وترجمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥، ص١٦٣ .

(٣) د / سامح الرواشدة : فضاءات شعرية . دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل ، المركز القومي للنشر ، إربد ، الأردن ، ١٩٩ ، ص١٣.

إن المفارقة أسلوب وتكنيك فني يعتمد على الديناميكية وحركية الدلالة، وتحفز المتلقي إلى تجاوز السطح أو المعنى الظاهر وصولا إلى عمق النص وجوانيته ، ومحاولة الكشف عن دلالته البعيدة من خلال تناقض أو تباين المواقف، وهي بذلك تذكرنا بالتورية البلاغية، فهي " استراتيجية قول نقدي ساخر، وهي تعبير غير مباشر عن موقف عدواني يقوم على التورية " (١).

إن المفارقة انحراف عن السائد والوضوح الدلالي القريب أو الظاهر إلى التعدد والازدواجية والتناقض المرجو والذي يسعى إلى كشف أحاسيس الشاعر ، وإضاءة أعماقه وبيان نظرته تجاه الحياه وموقفه النفسي " إن فاعلية المفارقة تتحقق في الحياة والأدب بفعل قوة تأثيرها المفارق لتوقعات المتلقي ، إذ إن أحداث الصراع التي تتضمنها المفارقة تحدث بطريقة غير مقصودة ومخطط لها من قبل صانع المفارقة حيث تتصاعد الأحداث تدريجيا إلى أن يقع المتلقي في خيبة التوقع وإحداثية المفاجأة " (٢).

مفهوم النقد الثقافي :

ظهر النقد الثقافي في الغرب في مرحلة ما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة ، وكان أول من أشار إليه الناقد الأمريكي "فينست ليتش" ومن أشهر نقاده العرب الناقد السعودي "عبد الله الغذامي" . وقد كانت أفكار مدرسة برمنجهام ومدرسة فرانكفورت في الدراسات الثقافية من المصادر التي اعتمد عليها النقد الثقافي في نشأته . والنقد الثقافي كما يراه د . الغذامي " أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه ..... " (٣).

---

(١) سيزا قاسم : المفارقة في النقد العربي ، مجلة فصول في الأدب والنقد ، مجلد ٢ ، عدد ٢، يناير، فبراير ، مارس ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٢ .

(٢) د / يوسف عليمات : تجليات التحليل الثقافي . الشعر الجاهلي نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ . ٢٠٠٤ ، ص ٢٧٣ .

(٣) د / عبدالله الغذامي : النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٥ ، ١٩٨٤ ، ص ٨٤ .

إن النقد الثقافي يحاول تناول الأدب ليس بوصفه ظاهرة فنية جمالية أو بلاغية ، إنما باعتباره ظاهرة ثقافية محاولا استخراج تلك الأنساق الكامنة والمضمرة في النص الأدبي ، ومن ثم فهو يتجاوز أدبية النص/ الخطاب وجمالياته إلى ماوراء ذلك من المضمر والخفي وغير المعلن من الفكر والثقافة والأيديو لوجيا المخبوءة في جوانية النص / الخطاب (المضمر الثقافي) ، ومن ثم يتحول النقد من القراءة الأدبية وتحليل العناصر الجمالية والبلاغية إلى نقد الخطاب واستكشاف تلك الأنساق الثقافية المضمرة ، ولذا فهو – أي النقد الثقافي – " تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص ، وتبريره إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه "[1]. وعلى هذا فالأدب إذن ليس مجرد إنتاج جمالي بلاغي فحسب ، إنما هو إنتاج معرفي ثقافي يتم الكشف عنه وتتم قراءته من خلال دراسة وكشف النسق الثقافي المخبوء وغير المعلن وراء تلك الدلالات والجماليات الأدبية والبلاغية في الخطاب / النص .

يحاول النقد الثقافي البحث والتنقيب عن تلك الأنساق التاريخية والاجتماعية والسياسية والدينية و .....(أنساق ثقافية) غير المعلنة والكامنة في لا وعي الكاتب أو المبدع والتي لا يصرح بها ، ويعتمد النقد الثقافي على هذه الأنساق المضمرة في الوصول إلى النص / الخطاب وكشف مكنوناته ومغاليقه الثقافية المضمرة في لا وعي الكاتب ، من هنا ينظر النقد الثقافي إلى النص / الخطاب بوصفه نسقا ثقافيا يتجاوز البعد الجمالي والأدبي والبلاغي الشكلي الظاهر إلى النسق المضمر المسكوت عنه والمخبوء في لا وعي الكاتب ، لذا فقد ألغى النقد الثقافي المركزية المغلقة للنص والتي قالت بها البنيوية ، فالدلالة الحقيقية للنص / الخطاب تكمن في لغة النص وعناصره الأدبية – كما رأت البنيوية – والتي قالت بموت المؤلف وعزل النص عن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية ، فلم يغفل

(١) د / عبدالله الغذامي : النقد الثقافي : ص ٣١ .

النقد الثقافي تلك السياقات وحاول الكشف عنها باعتبارها أنساق ثقافية مضمرة (نسق ديني – نسق – تاريخي – نسق اجتماعي – نسق سياسي – نسق نفسي .....) ، ومن خلالها يصل الناقد الثقافي إلى المضمر والكامن في لا وعي الكاتب وعقله الباطن ، حيث إنه " لا يمكن الفصل وإحداث القطيعة بين الثقافي والاجتماعي ، لأن العلاقة بين النصوص الثقافية والأدبية بخاصة، وبين السياقات الاجتماعية التي أنتجتها تتجلى من خلال وجود العلاقة بين الوعي الفردي الذي يتلفظ ومجموع التبليغات السياقية للبيئة والمجتمع) [١].

.ومن هنا يحاول الناقد الثقافي قراءة الخطاب / النص الأدبي وتأويله في ضوء السياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجته .

وإذا كان النقد الثقافي أو التحليل الثقافي للنص / الخطاب يسعى وراء تلك الأنساق الثقافية المضمرة ، فإنه لا ينفي ولا يغفل السياقات الجمالية والأدبية والفنية والبلاغية ، فالدراسة الثقافية " لا تنفي القيمة الجمالية وأهميتها في التحليل الثقافي بقدر ما تعززها وتؤكد ضرورتها ، على الرغم من أن أصحاب مشروع النقد الثقافي يرون أن وظيفة النقد الثقافي تكمن في إبراز القبحيات داخل الأنساق المضمرة في النصوص بدلا من التركيز على الشفرات الجمالية) [٢].

يمكن القول إذن بأن النقد الثقافي إضافة وتطور للنقد الأدبي يفيد منه ويضيف إليه ، ولذا فقد نشأت في النقد لثقافي فكرة (الكاتب المزدوج) ، فالنص الأدبي فيه كاتب له حضور مزدوج :

كاتب ينتج أنساق أدبية جمالية بشكل واع

كاتب ينتج أنساق ثقافية مضمرة بشكل غير واع .

---

(١) الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي . نسق القبيلة نموذجا ، رسالة ماجستير إعداد الباحث / يوسف بوشمة ، الجزائر ، جامعة جيلالي – سيدي بلعباس ، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية ، ١٤٣٩-١٤٤٠ ، ص ٣٨ .

(٢) د / يوسف عليمات : جماليات التحليل الثقافي ، ص ٣٣ .

وتحت الإبداع الظاهر الواعي يوجد ذلك المضمر أو النسق الثقافي وعلى المتلقي أو الناقد الثقافي استكشاف هذا المبدع الثقافي وفك مغاليق النص والغوص في جوانيته من خلال تلك الأنساق المضمرة . إن النقد الثقافي يمتاز بالشمولية والتعدد والتداخل ، لذا فإنه يفيد من السياقات الجمالية والسياقات الاجتماعية والتاريخية والنفسية في نظرته للخطاب / النص ومحاولة استكشاف أنساقه المضمرة، ف " بمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد والتفكير الفلسفي، وتحليل الوسائط ، والنقد الثقافي الشعبي ، وبمقدوره أن يفسر نظريات علم العلامات ومجالاته ، ونظرية التحليل النفسي ، والنظرية الماركسية ، والنظرية الاجتماعية والإنثروبولو جية" (١). وهو – أي النقد الثقافي – كما يراه فينيست ليتش : " مفهوم متعدد الأوجه للنقد الأدبي يقوم على الالتزام بالثقافة باعتبارها الأرضية لتحقيق القدر الأقصى من الفهم ..... " (٢).

إن النقد الثقافي لا يتعامل مع النص الأدبي كخطاب جمالي فني أو بلاغي لكنه يعتبر النص / الخطاب مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة ، وهو يكشف عن عيوب الخطاب المسكوت عنها ، ومن ثم فهو يبحث عن سلبيات الخطاب / النص وتلك الأنساق السلبية القبيحة التي عجز عن كشفها وإبرازها النقد الأدبي الذي وضع يده واهتم بالجماليات الأدبية ، أما ما يضمره الخطاب / النص في مكنوناته من قبح فيحاول النقد الثقافي كشف القناع عنه . وإلى جانب الدلالة اللغوية أو النحوية والدلالة الأدبية الجمالية والبلاغية في النص / الخطاب ، هناك الدلالة الثقافية أو الدلالة النسقية ذات البعد الثقافي .

دلالة صريحة مباشرة (توصيلية) وهي الجملة النحوية أو اللغوية .

---

(١) ايزابرجر : النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، ترجمة / وفاء إبراهيم و رمضان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ص ٨٧ .

(٢) فنسنت ليتش : النقد الأدبي الأمريكي ، ترجمة / محمد يحيى ، مراجعة / ماهر شفيق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٠٩ .

دلالة جمالية بلاغية وهي الجملة الأدبية أو البلاغية .

دلالة ثقافية وهي الجملة الثقافية .

والجملة الثقافية هي مقصود النقد الثقافي لأنها تتضمن المعنى الثقافي والدلالة الثقافية ، تلك الدلالة المضمرة في جوانية النص / الخطاب وأعماقه ، والتي تحتاج إلى مهارة فائقة من المتلقي أو الناقد الثقافي الذي يقوم بمساءلة النص / الخطاب ودراسته من زوايا مختلفة وتفكيك البنى الداخلية للنص / الخطاب واستخراج أنساقه الثقافية .

مفهوم النسق :

النسق في اللغة : النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء ...." [١]، فالنسق ما كان على نظام موحد منتظم مرتب ومنسق ، ويتم الربط بين عناصره برابط معين وتنظيم وتنسيق معين ، والنسق " مجموعة من العناصر مترابطة متناسقة ومنجمة طبيعيا "[٢].

النسق إذن مجموعة من العناصر المتشابهة المشترك في الصفات والخصائص يجمع بينها رابط موحد أو مشترك .

أما النسق الثقافي فهو " النظام التقني الذي يميز البنيات المتشابكة في النص ..... وبين النسق والبنية علاقة جدلية لا فكاك منها ، فالبنية هي التي تكشف النسق كما أن النسق هو الذي يكون البنية " [٣].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (نسق) .

(٢) جمال دحمان : الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري . التشعب والانسجام ، دار رؤية القاهرة ، مصر ، ٢٠١١ م ، ص ٣٦ .

(٣) د / عزالدين المناصرة : علم التناص والتلاص ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣١ .

والنسق – حسب مفهوم الغذامي – يتحدد حسب وظيفته ، فهناك نسق ظاهر والآخر مضمر في الخطاب [١]، ويقصد بالمضمر غير الظاهر والذي لا يظهر على سطح اللغة أو سطح الخطاب ، فهو نسق مختفي في لا وعي الكاتب ، وعلى المتلقي أو الناقد الثقافي الغوص في أعماق الخطاب / النص وفك مغاليقه واكتشاف ذلك البعيد المضمر من خلال تفكيك البنى الداخلية للنص / الخطاب واستخراج الأنساق الداخلية المضمرة فيه .

إن النقد الثقافي يعتمد على النسق المضمر المخبوء في لا وعي الكاتب وجوانية النص، على العكس من النقد الأدبي والذي يعتمد على النسق الجمالي والبلاغي المكشوف البين . يكون النسق المضمر إذن نقيضا للنسق الظاهر أو المعلن في الخطاب حتى يدخل في نطاق وحيز النقد الثقافي ، " والدلالة النسقية فيه – أي في النسق – سوف تكون هي الأصل النظري للكشف والتأويل مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى الصريح منها والضمني " [٢]. ، والدلالة النسقية هي الدلالة الثقافية المقصودة والتي يسعى إليها التحليل الثقافي للنص / الخطاب ، وهي لا تلغي بالطبع الدلالات الجمالية والبلاغية المكشوفة ، إنما هي موجودة بالقوة ومخبوءة في جوانية الخطاب / النص وفي لا وعي أو لا شعور الكاتب ومهمة النقد الثقافي الكشف عنها .

(١) راجع د / عبدالله الغذامي : النقد الثقافي ، ص ٧٨ .

(٢) المرجع السابق : ٧٩ .

المبحث الأول : أساليب المفارقة

أولا : التضاد

ورد في لسان العرب : " أن الضد كل شيء ضاد شيئا ليغلبه ، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار ، إذا جاء هذا ذهب ذلك ..... "(١).

إن التضاد من الوسائل الأسلوبية والبلاغية والفنية التي تكشف عن إحساس المبدع أو الشعر و تعكس موقفه تجاه الحياة والأشياء ، ووسيلة للتعبير عن المعنى وإيضاح الدلالة .

ويستخدم البحث مصطلح التضاد كأسلوب من أساليب المفارقة في شعر الأطلال ، ليندرج فيه ما يعرف في البلاغة بمصطلحات (الطباق والمقابلة) ، وإن اختلفت نظرة البلاغيين للطباق عن المقابلة، فارتبط الطباق بالجمع بين الضدين في الكلام ، بينما ارتبطت المقابلة بالجمع بين الأضداد وغير الأضداد ، ومنهم من عد الطباق بمعنى المقابلة وهي " أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو بمعان متوافقة ، ثم بما يقابلها على الترتيب ..... " (٢).

وتبدو المفارقة من خلال التضاد بين الحي / الجماد في قول عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي (٣).

تتجلى المفارقة هنا بين جدلية الجماد (دار عبلة) والحي الذي يسمع وينطق ويرد التحية والسلام ، هذه المفارقة تعكس نسقا مضمرا في نفس الشاعر يرتبط ببقاء الدار حية في نفسه ، والتي هي رمز ومعادل موضوعي للمحبوبة ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ضد) .

(٢)القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ،تحقيق / د . محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ،ط٢ ، مجلد ثان ، ص ٥٣٠ .

(٣) عنترة ابن شداد : ديوانه ، تحقيق / مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ١٠٣ .

فالدار أو الطلل حي في نفسه يكلمه رغم يقينه بأنه جماد لن يسمع ولن يرد أو يجيب ، ومن هنا تنبعث المفارقة في نفس الشاعر والتي تتجلى للمتلقي .

وتتجلى المفارقة بالاعتماد على أسلوب التضاد في قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها [١].

لقد كشفت السيول عن الأطلال التراب والغبار فأظهرتها جديدة كالكتاب الذي تتجدد سطوره ومتنه بالأقلام ، وتتجلى المفارقة بواسطة مستوى دلالي يعتمد على التضاد بين دلالة الطلول والتي ترتبط بالبلى والعفاء والزوال والانتهاء ، ودلالة الزبر أو الكتب التي توحي بالبقاء والتجدد والاستمرار ، وهذه الدلالة النسقية الطللية المضمرة هي التي يسعى إليها الشاعر ، والذي يحاول توظيف المفارقة الدلالية بين الأطلال والكتب ليصل بها إلى دلالة أبعد وأعمق وأقوى ترتبط ببقاء الماضي والطلل واستمراره في نفسه ليربط بين الماضي والحاضر ، ولذا يتكشف دور المفارقة كوسيلة أسلوبية تسهم في الربط بين الماضي والحاضر على مستوى المعنى في نفس الشاعر وعلى مستوى التركيب في النص / الخطاب .

وقول طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد [٢].

يوظف الشاعر التضاد أو التقابل بين دلالتي الطلل والوشم لتتكشف المفارقة ، فإن ارتبطت دلالة الطلل بالبلى والفناء والعفاء ، فإن دلالة الوشم في اليد ترتبط بالبقاء والاستمرار والدوام وهي الدلالة النسقية التي نلمحها من جوانية الخطاب / النص والتي تبدو من لا وعي الشاعر ، وهي – أي المفارقة – تصور ذلك الصراع في نفسه بين الماضي والحاضر " فالأطلال أشبهت الوشم والكتابة ،

---

(١) لبيد ابن أبي ربيعة : ديوانه ، تحقيق د / إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص ٦٣ .

(٢) طرفة ابن العبد : ديوانه ، شرح الأعلم الشنتمري ،تحقيق / درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، ص ٧٢ .

والكتابة هي ذاكرة الإنسان وماضيه ، فالكتابة مجددة لا تزول وكذلك الماضـــي لا يزول " (١).

ومن خلال التضاد والتقابل بين دلالتي الطلول والطير تتجلى المفارقة عنـــد المرقش الأكبر :

أمن آل أسماء الطلول الدوارس يخطط فيها الطير قفر بسابس (٢).

الطلول / الدوارس / بسابس هي ثقافة الخلاء والوحشة والسكون والـــزوال والانتهاء .

أما الطير فهي ثقافة الحياة والنشاط والحركة والاستمرار والتجـــدد ، هـــذا التضاد بين الدلالات يوحي بالتشتت الذهني والحيرة بين ماضي الطلول وحاضرها، والذي أوحى به الشاعر منذ الوهلة الأولى من خلال البدء بالاستفهام .

وتعلو المفارقة وتسمو ناطقة بالأحاسيس والمشاعر في قول القيس :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي(٣).

إن العلاقة الجدلية بين (الشاعر – الطلل – الماضي – الحاضـــر) تعتمـــد على مفارقة بدأها الشاعر بالتنبيه والتحية والنداء في لحظة لقائه بالطلل وكلها تفعم الطلل بمظاهر الحياة والحيوية وتعمق من حياة الطلل في نفس الشاعر ، ثم تـــأتي المفارقة الصادمة (البالي) التي عبرت عن حقيقة الطلل في صمته وسكونه وبلاه ، يؤكدها الاستفهام المفرغ من دلالته الأصلية إلى دلالة التعجب والإنكار والنفي في آن ، لأن الطلل مضى وانتهى وذهب إلى البلى وأصبح في العصر (الخالي) فلا

---

(١) د / مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ،كلية الآداب ، ص ٦٠ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، تحقيق / أحمد محمـــد شـــاكر ، دار المعـــارف ، مصر،١٩٨٢، ج١ / ١٣٨.

(٣) امرؤ القيس : ديوانه ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبـــراهيم ، ط٥ ، دار المعـــارف مصـــر ،ص٣٥ .

قيمة للتحية والسلام عليه والحديث معه . تلك المفارقة بين مظاهر الحياة في الطلل وبين البلى والمضي والخلاء والاندثار تسعى إلى دلالة أعمق وأبعد مضمرة في نفس الشاعر ترتبط بظهور الماضي وسيطرته ليطفو في نفس الشاعر ويستمر ويبقى ويتجدد .

وتتجلى المفارقة بين دلالة (الطلل والكتاب) في قول سلامة ابن جندل :

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق [١].

يأتي التقابل والتضاد بين دلالة الدوام والبقاء والتجدد المنبثقة من (الكتاب المنمق) ، وبين دلالة العفاء والخلاء والمضي والزوال الناشئة من (الطلل) والذي خلا عهده ، لتتجلى المفارقة والتي تضمر الإحساس بالتشتت والحيرة ومن هنا جاء البدء بالاستفهام .

وفي قول النابغة يشبه رماد الأثافي بالكحل :

رماد ككحل العين لأيا أبينه ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع [٢].

وتتجلى المفارقة في بيت النابغة من التضاد بين دلالتي : (الرماد والكحل) ففي حين ترتبط دلالة الرماد بالنار والحرقة والاشتعال والانتهاء (دلالات سلبية) ، فإن دلالة الكحل توحي بالزينة والجمال والاستقرار والحياة (دلالات إيجابية) في مفارقة تكشف عن ماضي المكان وحاضره ولم تأتي عبثا إنما تضمر نسقا ثقافيا يرتبط بدلالة التبدل والتحول وانطماس معالم المكان الذي يتبينه أو يراه (لأيا) بعد تعب ومشقة .

---

(١) الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق / محمود شاكر وعبد السلام إبراهيم ، ط٤ ، دار المعارف، مصر ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٢ .

(٢) النابغة الذبياني : ديوانه ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢، ص ٧٩ .

وفي قول أبي ذؤيب الهذلي في تشبيه آثار الديار بالكتابة :

بلين وتحسب آياتهن عن فرط حولين رقا محيلا [١].

إن إلحاح الشعراء الجاهليين على ثقافة المفارقة الناشئة من تضاد الدلالات بين الأطلال والكتب والكتابة والوشم ونحوها إنما يعكس دلالة مضمرة يحاولون من خلالها بث روح الحياة والبقاء والدوام في الطلل و إكسابه القدرة والقوة على البقاء ومقاومة البلى والفناء ليبقى الماضي حيا في نفوسهم يعيش فيهم .

وتبدو المفارقة من خلال التضاد بين دلالتي (البدر والبكاء) في قول لبيد :

غشيت ديار الحي بالسبعان كما البدر فالعينان تبتدران [٢].

إن دلالة (البدر) ترتبط بثقافة الجمال والضياء والزينة ، والتي بدورها تغاير ثقافة الطلل ودلالات الدموع والبكاء والتي تضمر الحنين والذكريات والشوق والارتباط النفسي بالمكان .

وفي قول عبيد ابن الأبرص :

لمن الدار أقفرت بالجناب غير نؤى ودمنة كالكتاب

غيرتها الصبا ونفح جنوب وشمال تذرو دقاق التراب [٣].

لا يخفى ما في البدء بالاستفهام من الحيرة والارتباك والشك والتردد في معرفة معالم الدار التي أقفرت وتغيرت ، وقد تجلت المفارقة من خلال قدرة الشاعر على استثمار اللغة والفاظها وتوظيفها في دلالات مغايرة ، ويبدو ذلك في الانحراف عن الدلالة الأصلية في (الصبا) الذي يرتبط بثقافة الجمال والنعومة ورقة النسيم إلى دلالة و ثقافة مغايرة أكسبته القدرة على التدمير والعفاء وتغيير المعالم وهنا تتبدل ثقافة الإيجاب إلى السلب .

---

(١) أبو ذؤيب الهذلي : ديوانه ، تحقيق / د . أحمد خليل الشال ، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، بورسعيد ، مصر، ط١ ، ٢٠١٤ ، ص ١٩٤ .

(٢) لبيد بن أبي ربيعة : ديوانه ، ص ١٩٦ .

(٣) عبيد ابن الأبرص: تحقيق وشرح د/ حسين نصار، دار صادر، بيروت،١٩٦٤م، ص٨٧.

وتتجلى المفارقة بين دلالتي الكلام والصمت أو الخرس عند القيس :

ألما على الربع القديم بعسعسا كأني أنادي أو أكلم أخرسا [١].

تتكشف المفارقة بين سياقي النداء والكلام (حياة) وسياق الصمت والخرس (جماد) ، وقد جاء الاختلاف والمفارقة على مستوى التركيب من خلال أسلوب الالتفات من خطاب المثنى (ألما) إلى المفرد المتكلم (أنادي أو أكلم) ، فهذه المفارقة على مستوى الصياغة والتركيب تعمق من المفارقة على مستوى المعنى والدلالة .

وفي قوله : ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل[٢].

تتبدى المفارقة من خلال التضاد بين بعر الآرام (ثقافة وحشة وخلاء وسكون) حتى من الحيوانات والظباء التي لم يتبق منها سوى أثرها (بعر) ، وبين حب الفلفل (ثقافة إنبات وحياة وتجدد واستمرار) ، هذه المفارقة ربما تقودنا إلى نسق ضمر أعمق وأبعد يدور حول إيمان الشاعر الجاهلي بحتمية الزوال الذي يعقبه التجدد والإنبات لتستمر الحياة . وقد استعان الشاعر بالفعل (ترى)بصيغة المضارع والحاضر ليربط بين حاضر المكان وماضيه ، كما أنه استعمل صيغة الخطاب (ترى) وأراد صيغة المتكلم (أرى) ليعبر عن ذلك الانفصام والانفصال النفسي والذهني عند رؤيته المكان " ومضمون البيت مطابق لنفسية امرئ القيس حينذاك في إحساسه بفقدان كل شيء ، وأن حياته أقفرت من كل شيء " [٣].

إن المفارقة الطللية من خلال أسلوب التضاد وتقابل الدلالات وتغايرها عند شعراء الجاهلية أسهمت وبشكل جلي في الربط بين الماضي والحاضر على مستوى المعنى وكذلك على مستوى الصياغة والتركيب ، إضافة إلى قدرتها البارعة في

---

(١) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٥ .

(٣) د / عبد الحليم حفني : مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٧ م ، ص ٨٣ .

الكشف عن أحاسيس الشعراء ، وارتبطت بالإشارة إلى أنساق مضمرة قد تتكشف عند الغوص في مغاليق النص / الخطاب الشعري ومحاولة استنطاقه .

ثانيا : الحوار

يمكن تعريف الحوار بأنه " حديث يدور بين اثنين على الأقل ، ..... أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه ، أو من ينزل مقام نفسه كربة الشعر او خيال الحبيبة مثلا "(١).

إن الحوار وسيلة مختزلة موجزة للتعبير عن أحاسيس الشاعر وأفكاره ، وهو وسيلة جمالية نستطيع من خلالها كشف الصراع الداخلي لدى الشاعر ، لا سيما لدى شعراء الأطلال لنستبين ذلك الصراع النفسي بين الماضي والحاضر والذي يتجلى في المفارقة الطللية ، كما أنه – أي الحوار – " عامل لا يمكن إنكار قيمته في تعميق التفكير الشعري ، إفساح مجال الرؤية الشعرية " (٢).

وينقسم الحوار في شعر المفارقة الطللية إلى :

حوار داخلي (مونولوج) وهو حديث الشاعر مع نفسه .

حوار خارجي (ديالوج) وهو حديث الشاعر مع شخص أو أشخاص آخرين أو مع الطبيعة / الطلل .

وما يمتاز به الحوار الداخلي مع النفس أو الخارجي مع الآخرين أنهما متشابهان ، ذلك أن الحوار الخارجي يأخذ كذلك صورة المناجاة لأنه لا يعتمد على رد المستمع أو المخاطب

---

(١) عبد النور جبور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص ١٠٠ .

(٢) د / عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر . قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ط١ ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ، ص ٣١٥ .

الحوار الخارجي :

ونلمسه في حوار امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[١].

وقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان[٢].

(قفا / نبك) في الأول خطاب يوحي بالحوار ، وفي الثاني التفات إلى المتكلم يوحي بالعاطفة والبكاء ، ثم يأتي الحدث المستلزم للحوار والذي يستدعي (الذكرى) وتذكر الماضي والحنين إليه ، مما يكشف الصراع الداخلي المضمر في نفس الشاعر بين الحاضر والماضي . وتأتي المفارقة بين ماضي المكان / الدار (ثقافة العمران بالأهل والأحباب واجتماعهم) ، وبين حاضر المكان / الديار (ثقافة الخلاء والمكان المقفر) ، لتعمق ذلك الصراع المضمر في نفسه . والتعبير بالأمر (قفا) يستدعي وجود الحركة والسير ثم يأتي الوقوف والسكون والهدوء ليلائم تلك المفارقة المعتمدة على التضاد والتقابل بين الحياة والحركة (الماضي) والصمت والسكون والعفاء (الحاضر) ، " ولا يتم تجاوز الحاضر بقساوته المتجلية في الطلل المجدب إلا من خلال استعادة الذكريات ، أي أنها عودة للماضي في إطار المكان نفسه فهي شكل من أشكال المقارنة بين الماضي والحاضر "[٣].

في البيتين السابقين وقف القيس وبكى ودعا الآخر للبكاء ، ولكن المفارقة الحوارية القادمة اختلف النسق الحواري حينما طلب الوقوف للبكاء فدعا الآخر للصبر والتجلد :

---

(١) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٥ .

(٣) د / كريم الوائلي : الشعر الجاهلي .قضاياه وظواهره الفنية ، نور للنشر ، بغداد ،(د ت)، ص ١١١ .

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد [١].

إن المفارقة الحوارية تتجلى هنا من خلال ثقافة جدلية الذات / الآخر ، الذات / الشاعر أمام الآخر / الأصدقاء والصحاب ، ومن خلال سياق المفارقة بين الأنا / الذات التي تريد الوقوف والبكاء ، والآخر / الأصدقاء الذين يدعونه للصبر والتجلد، وهذا التحول والانحراف الصياغي من خلال الانحراف في الخطاب أو الالتفات من الخطاب / وقوفا إلى الغيبة / يقولون يلائم تلك المفارقة ويعمق الدلالة الحوارية بين الذات / الآخر ويكشف تباين المشاعر والاختلاف بين الفعل ورد الفعل ، فعل الشاعر الذي وقف للبكاء ورد فعل الأصدقاء الذين دعوه للصبر والتجلد ، وهي مفارقات حوارية على مستوى الحوار وكذلك على مستوى الصياغة والتركيب تقود المتلقي / الناقد الثقافي وتصل به إلى كشف النسق المضمر والكشف عن تلك المفارقة في المشاعر والأحاسيس بين الماضي والحاضر .

ونلمس تلك المفارقة الطللية عبر الحوار بين الشاعر والدار / الطلل عند النابغة :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد [٢].

إن المفارقة الطللية هنا ناشئة عن الحيرة والتردد والنابع من السؤال الذي يقابله الصمت والشك في الإجابة ، فالنداء (يا دار) يستدعي منادى أو مخاطب ،كما أن السؤال يستدعي مسؤول ، وكلاهما (النداء والسؤال) يستدعي دلالات الحياة والتي يقابلها دلالات الصمت والخلاء والسكون التام فما بالربع من أحد . يحاول الشاعر من خلال هذه المفارقة الطللية عبر الحوار وسؤال الدار / الطلل أن يضعنا أمام مفارقة حادة بين دلالتين : دلالة ماضي المكان (ثقافة الأهل والأحباب والاجتماع واللقاء) ، ودلالة حاضر المكان الطللي (ثقافة السكون والخلاء

(١) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ٩ .

(٢) النابغة الذبياني : ديوانه ، ص ١٩ .

والصمت) وهو لا يثير هذا التناقض عبثا أو دون قصد إنما يسعى للكشف دلالة مضمرة في نفسه يحاول بثها للمتلقي نتيجة هذا التبدل والتحول في المشهد بين الماضي والحاضر .

وفي قول النابغة :

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار[١].

تجلت المفارقة بين جدلية الأنا / الآخر بين ذات الشاعر (المتكلم)و بين الأصدقاء أو الأهل (المخاطب) ، وتتعمق المفارقة الحوارية من خلال السؤال الدال على التعجب فقد تفرغت (ماذا) من دلالتها الأصلية إلى دلالة التعجب ، وتزداد المفارقة عمقا وقوة حينما يضاف إليها المفارقة بين سؤال الآخر / المخاطب وصمت الطلل . ولا يختلف التعبير بالأمر (عوجوا) عن دلالة التعبير بالوقوف (قفا – وقفت) لأنه كذلك يرتبط بدلالة العودة والارتداد إلى الخلف أو أسلوب الفلاش باك والذي يستدعي تذكر الماضي والرجوع إليه والوقوف عنده ليظل دائما باقيا في النفس " انظر إلى هذا الأمر وهذا الاستفهام ..... وكيف بدأ الشاعر قصيدته هذا البدء المتوتر وتأمل كيف اختلجت نفسه واضطربت حين شارف الديار ورأى منازل الأحبة) [٢].

ونجد المفارقة الحوارية الناشئة من السؤال بين الشاعر والغراب في قول عنترة :

أسائله عن عبلة فأجابني غراب به ما بي من الهيمان [٣].

---

(١) النابغة الذبياني : ديوانه ، ص ٧ .

(٢) د / محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٨م ، ص ١٩٠ .

(٣) عنترة ابن شداد : ديوانه ، ص ١٧٤ .

تتجلى المفارقة في هذا السياق من خلال المتكلم / الشاعر والأعجم أو الأخرس / الغراب ، وتتعمق المفارقة بالسؤال المرتبط دلالته بالشك فالغراب أعجم لن يجيب ولن يرد أو ينطق ولكن وجوده بالمكان تأكيد للخلاء والخراب .

وفي سؤال لبيد للطلل :

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صمما خوالد ما يبين كلامها [١] .

إن سؤال الطلل أمر حتمي من الشاعر لأنه يريد الجواب عن الماضي وأهله، ولكن تأتي (كيف) مصدر المفارقة لأنها تؤكد وترتبط بدلالة التعجب والنفي في آن ، وفيها تكمن المفارقة لأنه يسأل ويعلم استحالة الجواب .

وقول الأسود النهشلي :

هل بالمنازل إن كلمتها خرس أم ما بيان أثاف بينها قبس [٢].

وتتجلى المفارقة بين كلام الشاعر للمنازل والأطلال والأثافي والذي يقابله صمت وخرس تلك المنازل والأثافي ، ويأتي السؤال المفرغ من دلالته الأصلية إلى دلالة النفي والتعجب ليعمق من دلالة المفارقة الطللية النابعة من حوار الشاعر للطلل .

إن إلحاح الشعراء الجاهليين على تكرار سؤال الطلل رغم اليقين بالصمت والخرس وعدم الرد ، إنما يوحي بفعل الزمن وسطوته ليبدو الطلل عاجزا لا حول له ولا قوة سوى الصمت والسكون التام مما يعمق من دلالة الطلل والفناء والعفاء والذي بدوره يزيد من مأساة الشاعر الجاهلي وهي ثقافة ثابتة متأصلة لدى شعراء الجاهلية .

---

(١) لبيد ابن أبي ربيعة : ديوانه ، ص ٢٠٩ .

(٢) أبو الأسود بن يعفر النهشلي : ديوانه ، تحقيق / د . نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ط١ ، ص٧٦ .

الحوار الداخلي :

وهو حديث الشاعر مع نفسه ، أو مناجاة النفس . ونلمسه في قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم[١] .

نلحظ المفارقة في فعل الزمن المزدوج والمتناقض ، فالديار (لم يعفها القدم) ثم تأتي (الأرواح والديم) وهي من عوامل الزمن ومظاهره لتغير الديار وتمحو مظاهرها ، وهذا التباين المزدوج في فعل الزمن ما بين السلب والإيجاب جعل الشاعر مترددا في المشهد، ومن ثم فقد حدث نفسه بالوقوف (قف) ليتأمل ويأخذ العبرة والعظة من فعل الزمن في الدار / الطلل ، هذا الازدواج أو التناقض في فعل الزمن جعل الشاعر منقسما بينه وبين نفسه ، فالحوار هنا موجه من الذات للذات ليصبح الشاعر هو المتكلم والمستمع في آن ليقف ويتأمل فعل الزمن .

وفي قول عنترة :

قف بالمنازل إن شجتك ربوعها فلعل عينك تستهل دموعها[٢].

وتتجلى المفارقة هنا في الموقف أو موقف الشاعر من الطلل ، لأن الشاعر الجاهلي يقف ليبكي ويبكي من حوله ، أما عنترة فهو لا يبكي إنما يرجو من نفسه البكاء ، لأنه يشك في حدوث البكاء ، لذلك تمثلت جدلية الذات / الآخر في ذات الشاعر فهو المتكلم والمستمع وكأنه أراد ألا يسمعه أحد أو يطلع أحد على موقفه المغاير من الطلل . وهذه المفارقة في موقف الشاعر تقودنا إلى دلال نسقية مضمرة وهي الدلالة الأعمق والأبعد ، فالحوار مع النفس هنا يحاول من خلاله الشاعر أن يتحلى بالصبر والجلد في الوقت الذي يرجو عينه البكاء والحنين إلى الذكريات / الطلل .

---

(١) زهير ابن أبي سلمى : ديوانه ، تحقيق / فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٥ .

(٢) عنترة ابن شداد : ديوانه ، ص ١٠١

وفي قوله :

قف بالديار وصح إلى بيداها فعسى الديار تجيب من ناداها [١] .

الحوار الداخلي هنا يعكس محاولة استنطاق الطلل / الديار (قف – صح) ، ثم تأتي المفارقة في رد الفعل فالديار لا تجيب النداء ، ومن ثم تتسع المفارقة الحوارية بين الشاعر وذاته فيتوجه إلى الدار / الطلل يرجوها أن تجيب النداء لكن هيهات حتى لو وقف وصاح .

(١) عنترة ابن شداد : ديوانه ، ص١٨٧ .

المبحث الثاني : موضوع المفارقة (الزمان والمكان)

يحاول الشاعر الجاهلي من خلال الدلالة الطللية الوقوف أمام أطلال المكان ليكشف للمتلقي دلالة المكان الطللي ويقارن بين حاضره وماضيه ، ويقف كذلك على أطلال الزمان ليسأل عن زمن ماض ليخلق مفارقة بين زمانين ، ماض سعيد وحاضر بائس . إن المفارقة الزمانية والمكانية هي تلك المفارقة التي تستند على عنصر الزمن وسطوته وذلك التغير في شكل المكان /الطلل ، لتوحي بذلك الاختلاف والتنافر بين الماضي والحاضر ،وهي كذلك وسيلة ربط بين الماضي والحاضر . وفي المفارقة الزمانية والمكانية يرتبط المكان بالزمان فهما متلازمان ، يمر الزمان ويمضي فتبدو سطوته وآثاره على المكان فكلما تغير الزمان تغير المكان شكلا ومضمونا ، وتتبدل تلك الدلالات الجمالية إلى دلالات العفاء والاندثار وانطماس المعالم . ومن ثم فالمفارقة الزمانية والمكانية تعكس تلك المتناقضات والتحولات بين الحياة والحركة والحيوية وبين المظاهر الطارئة المرتبطة بالسكون والعفاء والصمت والخلاء لتكشف عن مدى ارتباط الشاعر بالمكان والزمان معا .

يقول امرؤ القيس :

يا دار ماوية بالحـــــائل فالســـــهب فالخبتين من عاقل

صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل [1] .

إن الدار قد عفت وبادت وخيم عليها الصمت والسكون التام وعمها البلى ، ويأتي النداء والمرتبطة دلالته ببعد الزمان وامتداده ، والذي فيه تكمن المفارقة بين النداء ورد فعل الدار / الطلل فقد (صم صداها واستعجمت) . تلك المفارقة التي تعكس المضمر النفسي لدى الشاعر الذي يعيش الحاضر وينادي الطلل / الدار الحية الباقية في نفسه " ولكن ذلك يتلاشى في البيت الثاني إذ كان الماضي أقوى من الحاضر فسادت علاماته (صم – عفا – استعجم) وتبع هذا التحول في خط

(١) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٨٧ .

المعنى تحول أساسي في خط الصياغة عن طريق الالتفات بأسلوب الخطاب في البيت الأول ثم بأسلوب الغياب في البيت الثاني ، وكأن هذا التحول كان إيذانا بالانصراف عن الطلل خاصة وأنه لم يستطع أن يلبي ندائه " (١) .

وفي قول عبيد ابن الأبرص :

ديارهم إذ هم جميع فأصبحت بسابس إلا الوحش في البلد في الخالي

قليلا بها الأصوات إلا عوازفا وإلا عـــرارا من غياهب آجال (٢) .

يحاول الشاعر من خلال هذه الدلالة الطللية والمفارقة الزمانية المكانية أن يضعنا أمام مفارقة حادة بين حاضر الطلل وماضيه . فهو يصور المفارقة بين الماضي والحاضر ، الاجتماع والتفرق ، الحركة النابعة من عمران الدار بالأهل والسكون التام والصمت الذي لا يقطعه إلا جلبة وضوضاء أصوات النعام أو قطعان الظباء والبقر . وحينما عبر عن دلالة الماضي عبر بالجمع أو الجميع المرتبط بدلالة الحياة والحركة والحيوية ، وحينما اتجه إلى حاضر المكان الطللي عبر بالصوت واختص صوت الظباء والبقر والنعام الذي ترتبط بدلالة نسقية مضمرة تعمق من دلالة الخلاء أو خلاء المكان الطللي من مظاهر الحياة الآدمية .

وفي قول امرئ القيس :

فظللت في دمن الديار كأنني نشوان باكره صبوح مدام (٣) .

تتجلى المفارقة من خلال الجمع بين سياقات متباينة أو متناقضة ، سياق الديار/ الطلل في الشطر الأول ، والتي تستدعي دلالات نسقية مضمرة ترتبط بالحنين والذكرى والبكاء ، ثم تأتي دلالة السعادة واللهو الناشئة من دلالة الخمر في

---

(١) د / محمد عبد المطلب : قراءة ثانية في شعر امرئ القيس ،الشركة المصرية العالمية – لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ١١ .

(٢) عبيد ابن الأبرص : ديوانه ، تحقيق وشرح د / حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٨٧.

(٣) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١٠٦ .

الشطر الثاني والتي تستدعي دلالات مضمرة ترتبط بالنسيان وتستدعيه ، والنسيان هنا ليس لغرض النسيان إنما هو قد يرجع إلى شدة الألم والحنين والارتباط بالمكان فلم يقو على رؤية المشهد أو المكان الذي صار طللا ، ولذا فقد استدعى الخمر ولجأ إليها كوسيلة للنسيان لعدم القدرة .

ويصور بشر ابن أبي خازم الأطلال الدارسة والدمن بالألواح المزخرفة :

فكأن أطلالا وباقي دمنة بجدود ألواح عليها الزخرف

إلا الجآذر تمتري بأنوفها عوذا إذا تلع النهار تعطف [١] .

إن سياق الطلل والدمن المرتبطة بثقافة (العفاء والبلى) تضاد وتفارق دلالة الألواح المزخرفة (دلالة جمالية) ، ومن هنا تنشأ المفارقة والتي تزداد درجتها عمقا في البيت الثاني لخلو المكان إلا من الجآذر أو صغار البقر التي ترضع من أمهاتها وتتجول في المكان ، مما يؤكد المفارقة بين دلالة الطلل والدمن العافية وثقافة الخلاء والعفاء ، وبين دلالة الجآذر وأمهاتها في المكان والتي يوحي ظاهرها بالعفاء وخلو الطلل من الحياة الآدمية ، ولكنها تقودنا إلى دلالة مضمرة ترتبط بالتفاؤل والاستمرار وتجدد الحياة واستمرار النسل ليبقى الماضي / الطلل ويتجدد ويستمر .

ولا يبعد عن هذا قول الأعشى متشوقا للأطلال :

وهل يشتاق مثلك من رسوم عفت إلا الأياصر والثماما [٢] .

إن دلالة الرسوم العافية تضاد وتناقض دلالة الحياة والنمو والتجدد الناشئة من دلالة النبات (الأياصر والثماما) ، ومن ثم تنشأ المفارقة الممزوجة بدلالة الحيرة والتردد المشوبة بالتعجب من نفسه وكل ذلك نلمسه في دلالة الاستفهام .

---

(١) بشر ابن أبي خازم : ديوانه ، تحقيق د / عزة حسن ، مطبعة إحياء التراث القديم ، دمشق، ١٩٦٠ ، ص ١٥٢ .

(٢) الأعشى : ديوانه ، تحقيق / د . محمود الرضواني ، وزارة الثقافة ، الدوحة ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ج١ ، ص ٤٩ .

وقد تنشأ المفارقة من اختلاف الدلالة وتغييرها في قول النابغة :

وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات الهواطل[١] .

وقول زهير :

ديار لسلمى عافيات بذي خال ألّح عليها كل أسحم هطال [٢]

إن دلالة المطر في البيتين ليست هي الدلالة الحقيقية أو الأصلية ، فالمطر دلالة (الحياة والدوام والاستمرار والخصب) وقد جاءت في سياق البيتين معتمدة على دلالة مناقضة ترتبط بالتدمير والعفاء وتغيير ملامح الطلل ، ومن هنا نشأت ثقافة المفارقة من خلال تغيير الدلالة الأصلية للمطر إلى دلالة طارئة .

وفكرة نشوء المفارقة من حياة الطلل بعد خلوه من الأهل نجدها في قول عنترة

يا مسرح الآرام في وادي الحمى هل فيك ذو شجن يروح ويغتدي[٣] .

إن المعهود في سياق الطلل هو ثقافة العفاء والسكون والصمت بعد خلوه من الأهل والأحباب ، ولكن المفارقة هنا في هذا السياق تنشأ من تغاير الدلالات ومن ملمح حياتي مختلف ، لأن الطلل أصبح مسرحا ومرتعا للآرام والظباء ، والشاعر يوظف المشهد في تعميق دلالة المفارقة لأن مظاهر الحياة والحركة الحيوانية في المكان تؤكد خلو الحياة الآدمية .

والدلالة ذاتها نلمسها في قول القيس :

لمن الديار غشيتها بسحام فعمايتين فهضب ذي إقدام

فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر تمشي النعام بها مع الآرام [٤] .

---

(١) النابغة الذبياني : ديوانه ، ص ١١٥ .

(٢) زهير ابن أبي سلمى : ديوانه ، ص ٢٧ .

(٣) عنترة ابن شداد : ديوانه ، ص ٦٨ .

(٤) امرؤ القيس : ديوانه ، ص ١١٤ .

إن تحديد الأماكن وذكرها وتكرارها إنما يؤكد قوة الارتباط بها ودوامها في نفسه مهما تبدل أو تغير الزمن الذي يبدو أثره على الشاعر ، فقد جعله يشك ويتردد في معرفة المكان / الطلل والتحقق منه ، ولذا فقد بدأ بالسؤال الذي يوحي بالشك في معرفة المكان / الطلل .

نتائج البحث :

تناولت هذه الدراسة موضوع (المفارقة في الشعر الجاهلي دراسة في الأنساق الثقافية . شعر الأطلال نموذجا) ، وحاولت الدراسة قراءة الأنساق الثقافية في الخطاب / النص الطللي ، والذي بُني على المفارقة والأنساق الضدية ، وحاولت الدراسة قراءة النص الطللي في ضوء سياقه الثقافي الذي أنتجه ، كما حاولت الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في الخطاب / النص الطللي ، والتي كشفت عن موقف الشاعر الجاهلي ونظرته للزمن والوجود .

وقد جاءت الدراسة من خلال مبحثين :

المبحث الأول بعنوان : (أساليب المفارقة) وتناول أسلوب التضاد ، وأسلوب الحوار (الخارجي والداخلي) .

المبحث الثاني بعنوان : موضوع المفارقة (الزمان والمكان) .

وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج :

١ – إن الأطلال نسق ثقافي جاهلي يبعث قمة المفارقة بين الماضي والحاضر بين البعيد والقريب بين الاجتماع والافتراق ..... ، ومن ثم فهي ناطقة بمشاعر الشاعر الجاهلي تجاه فعل الزمن ، وتجاه المكان / الطلل وقوة ارتباطه به .

٢ – إن المفارقة الطللية من خلال أسلوب التضاد وتغاير الدلالات عند شعراء الجاهلية ، أسهمت وبشكل بارز في الربط بين الماضي والحاضر على مستوى المعنى وكذلك على مستوى التركيب والصياغة الشعرية ، إضافة إلى قدرتها على الكشف عن أحاسيس الشعراء ودلالات أعمق وأبعد وأنساق مضمرة لا تقف عند مجرد التناقض ، يتم الكشف عنها عند الغوص في جوانية الخطاب / النص الطللي .

٣ – إن ثقافة المفارقة وتضاد الدلالات بين الأطلال والكتب والكتابة والوشم و ..... ، إنما تعكس أنساق مضمرة تشي بدوام الماضي وبقائه واستمراره في نفوس شعراء الجاهلية .

٤ – كشفت المفارقة الطللية في الشعر الجاهلي عن إدراك الشاعر الجاهلي جوهر الوجود وحتمية الزمن من خلال الجمع بين المتناقضات الحياتية .

٥ – جاءت المفارقة في النسق الطللي لتكشف عن الصراع النفسي لدى الشاعر الجاهلي من خلال الربط بين الماضي والحاضر .

٦ – إن محاولة التحليل للخطاب الشعري على مستويات الشكل والمضمون والدلالة ، لابد فيها من الربط بين مستوى التحليل الجمالي والبلاغي وبين مستوى التحليل الثقافي والاجتماعي .

٧ – ضرورة اهتمام النقد بالتعامل مع النص / الخطاب الشعري في ضوء الثقافة التي نشأ فيها .

المصادر والمراجع

١ – أبو ذؤيب الهذلي : ديوانه ، تحقيق / د . أحمد خليل الشال ، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، بورسعيد ، مصر ، ط١ ، ٢٠١٤ م .

٢ – الأصمعي (عبد الملك بن قريب) : الأصمعيات ، تحقيق / محمود شاكر وعبد السلام إبراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦ .

٣– الأعشى : ديوانه ، تحقيق / د . محمود الرضواني ، وزارة الثقافة ، الدوحة ، قطر ، ط١ ، ٢٠١٠ م .

٤ – بشر ابن أبي خازم : ديوانه ، تحقيق د / عزة حسن ، مطبعة إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٠ .

٥ – جمال دحمان : الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري . التشعب والانسجام ، دار رؤية القاهرة ، مصر ، ٢٠١١ م .

٦ – زهير ابن أبي سلمى : ديوانه ، تحقيق / فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠ .

٧ – د / سامح الرواشدة : فضاءات شعرية . دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل ، المركز القومي للنشر ، إربد ، الأردن ، .١٩٩٩

٨ – د / سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة . عرض وتقديم وترجمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٥ .

٩ – سيزا قاسم : المفارقة في النقد العربي ، مجلة فصول في الأدب والنقد ، مجلد ٢ ، عدد ٢ ، يناير، فبراير ، مارس ، .١٩٨٢

١٠ – طرفة ابن العبد : ديوانه ، شرح الأعلم الشنتمري ،تحقيق / درية الخطيب ولطفي الصقال ، المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .

١١ – د / عبدالله الغذامي : النقد الثقافي . قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٥ ، ١٩٨٤ .

١٢ – د / عبد الحليم حفني : مطلع القصيدة العربية ودلالتـــه النفســـية ، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٧ م .

١٣ – عبد النور جبور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايـــين ، بيـــروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

١٤ – عبيد ابن الأبرص : ديوانه ، تحقيق وشرح د/ حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤م .

١٥ – د / عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر . قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ط١ ، دار الكتاب للنشر والتوزيع .

١٦ – د / عزالدين المناصرة : علم التناص والتلاص ، دار مجدلاوي ، عمـــان ، الأردن ، ط٣ ، ٢٠٠٦ م .

١٧ – عنترة ابن شداد : ديوانه ، تحقيق / مجيد طراد ، دار الكتـــاب العربـــي ، بيروت ، ١٩٩٢م .

١٨ – فنسنت ليتش : النقد الأدبي الأمريكي ، ترجمة / محمد يحيى ، مراجعـــة / ماهر شفيق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .

١٩ –ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، دار المعـــارف ، مصر ، ١٩٨٢، ج١

٢٠ – القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق / د . محمـــد عبـــد المـــنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٣ ، مجلد ثان .

٢١ – د / كريم الوائلي : الشعر الجاهلي .قضاياه وظواهره الفنية ، نور للنشـــر ، بغداد ، (د ت) .

٢٢ – لبيد ابن أبي ربيعة : ديوانه ، تحقيق د / إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ .

٢٣ – د / محمد أبو موسى : قراءة في الأدب القديم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٨م .

٢٤ – د / محمد عبد المطلب : قراءة ثانية في شعر امرئ القيس ،الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ .

٢٥ – امرؤ القيس : ديوانه ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥ ، دار المعارف مصر .

٢٦– د/ مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، منشورات الجامعة الليبية ،كلية الآداب .

٢٧ – ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق / أحمد حيدر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .

٢٨ – النابغة الذبياني : ديوانه ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ .

٢٩ – ايزابرجر : النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ، ترجمة / وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة .

٣٠ – د / يوسف عليمات : تجليات التحليل الثقافي . الشعر الجاهلي نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ . ٢٠٠٤ .

٣١ – يوسف بوشمة : الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي . نسق القبيلة نموذجا ، رسالة ماجستير إعداد الباحث ، الجزائر ، جامعة جيلالي – سيدي بلعباس ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية ، ١٤٣٩–١٤٤٠ .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٥٨
٢-	Abstract	٣٥٩
٣-	مقدمة	٣٦٠
٤-	تمهيد	٣٦٢
٥-	المبحث الأول : أساليب المفارقة	٣٦٩
٦-	المبحث الثاني : موضوع المفارقة (الزمان والمكان)	٣٨٢
٧-	نتائج البحث :	٣٨٧
٨-	المصادر والمراجع	٣٨٩
٩-	فهرس الموضوعات	٣٩٢